بنو راشد وأثرهم فى تاريخ المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين / من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين

د. جيهان مصطفى حسين الأنصاري*

المقدمة

ينحدر بنو راشد من قبيلة زناتة ؛ ومما ساعد على استرجاع قبيلة زناتة لسالف قوتها فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ظهور دولة بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط بتلمسان ، وإمارة مغراوة بمنطقة وادى شلف ، وإمارة بنى توجين بجبل الونشريس ، وإمارة بنى راشد بالجبل الذى أصبح يحمل اسمهم وهو جبل راشد .

فقد أسس بنو راشد إمارة زناتية صغيرة فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى بجنوب شرق المغرب الأوسط وسرعان ما توطدت أركانها ، وحافظت على حياتها ، وعاشت فترة من القوة والازدهار رغم ضيق المملكة واتساع مطامع الأعداء ، وقد أتيح لها خلال هذه الفترة الإسهام والتأثير فى مجريات الأحداث التاريخية بالمغرب الأوسط ، حيث سيطرت العصبية القبلية على بنى راشد فانحازوا لدولة بنى عبد الواد ٦٣٣ – ٩٥٧ هـ / ١٢٣٥ – ١٥٥٠ م (١) لمساندتهم فى

* دكتوراة في التاريخ الإسلامي – كلية الآداب – جامعة عين شمس

(١) وتنتمى هذه الدولة إلى قبيلة بنى عبد الواد إحدى بطون زناتة التى كانت ترتاد جبال المغرب الأوسط وصحراءه . ولما فتح الموحدون هذه البلاد ، كان بنو عبد الواد عونًا لهم على ذلك ، ونالوا ثقة الموحدين ، وحصلوا منهم على إقطاعات وفيرة بأحواز تلمسان ، فاستقروا فيها منذ ذلك الوقت ، ولما انهارت دولة الموحدين ، استقل يغمراسن بن زيان ملك بنى عبد الواد بهذه المنطقة سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م مؤسسًا بذلك دولة بنى عبد الواد التى عرفت أيضًا بدولة بنى يغمراسن بوصفه أول ملوكها ، وبدولة بنى زيان أو الزيانية نسبة إلى اسم والده . يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد، ج١، ص٥-٦، تحقيق ألفريد بل، الجزائر، ١٩٠٣ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ج٧ ، ص ٩٣ – ٩٩ ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

تحقيق استقلالهم بالمغرب الأوسط ، وتعاونوا معهم فى مواجهة دولة بنى مرين ٦١٤ – ٨٧٠ هـ / ١٢١٧ – ١٤٦٥م [١] وشاركوهم فى الحروب التى خاضتها الدولة ضد أعدائها .

ثم اصطدم بنو راشد ببنى عبد الواد وخلعوا عنهم طاعتهم وتحالفوا ضدهم مع أعدائهم المرينيين ؛ ويرجع ذلك إلى أن بنى زيان لم يستثمروا الروابط القبلية بينهم وبين بنى راشد إلا لفائدتهم أو مصالحهم ، فإذا كانت الحرب واحتاجوا إليهم استمالوهم وصانعوهم وجددوا لهم العهد على ولاياتهم ، وإذا قوى أمرهم واستغنوا عنهم بالسلم قلبوا لهم ظهر المجن فقودوا استقلالهم وسجنوا رؤساءهم وطاردوهم وخلعوهم من ولاياتهم ، وكان ذلك من بين أهم العوامل التى حالت دون استمرار هذه الإمارة ونجاحها .

وبالرغم من البصمات التى تركها بنو راشد على تشكيل معالم تاريخ المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ، وبالرغم مما خلفوه من أثر فى توضيح طبيعة العلاقة بين البطون الزناتية فإن المعلومات الخاصة بهذه القبيلة فى المصادر قليلة للغاية وتكاد تقتصر على ما كتبه عبد الرحمن ابن خلدون صاحب كتاب العبر وبضعة أسطر متناثرة فى كتابات عدد

---

[١] ينحدر المرينيون من قبيلة زناتة البربرية التى استوطنت المناطق الشرقية على الحدود مع الصحراء ، نزح هؤلاء إلى المغرب مطلع القرن الـ١٢ م واستقروا فى المناطق الشرقية والجنوب شرقية ، بعد صولات وجولات مع الموحدين استطاع المرينيون فى عهد الأخوين أبى يحيى عبد الحق ٦٤١ – ٦٥٦ هـ / ١٢٤٤–١٢٥٨ م ثم أبى يوسف ٦٥٦ – ٦٨٤ هـ / ١٢٥٨–١٢٨٦ م أن يستولوا على العديد من المدن ، مكناس :٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م ، فاس : ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨م . مع حلول سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م استطاعوا التخلص من آخر الأمراء الموحدين فى مراكش ، بدأوا بعدها فى تنظيم جيش قوى للحفاظ على المناطق التى انتزعوها ، خاضوا عدة حروب على أرض الأندلس فى عهد أبى يعقوب يوسف ٦٨٤ – ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦–١٣٠٧ م ، توسعوا إلى الجزائر(الاستيلاء على وهران و مدينة الجزائر).عرفت دولتهم أوجها السياسى أثناء عهدي أبى الحسن علي ٧٣١ – ٧٥١ هـ / ١٣٣١–١٣٥١ م ثم أبى عنان فارس ٧٥١ – ٧٥٩ هـ / ١٣٥١–١٣٥٨ م وازدهرت حركة العمران فيها . استطاع الأخير صد سلاطين عبد الواد (الزيانيين) والاستيلاء على عاصمتهم تلمسان ، ثم واصل فى غزواته حتى بلغ تونس واحتلها على حساب الحفصيين . ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧، ص١٩٦– ٢٠٥ .

من المؤرخين أوردوها فى سياق الأحداث ، ويُعزى ذلك بالضرورة إلى بُعد موطن بنى راشد فى الصحراء عن مركز السلطة الحاكمة فى المغرب الأوسط ، ويرجع ذلك أيضًا إلى أنهم لم يكونوا كثيرى الحركة وإلى أنهم لم يكونوا على اتصال بأبناء عمومتهم مغراوة وبنى توجين المشاقين لبنى عبد الواد أضف إلى ذلك أنهم لم يقدموا على تحدى الدولة الزيانية باحتلال مدنها الهامة والانفصال بها عن سلطانها ، ومثل هذه الأمور كانت تستثير اهتمام المؤرخين وتحملهم على حفظ هذه الأخبار وتدوينها ؛ ولعل ذلك ما دعانى إلى الاجتهاد فى التعرض للأحوال السياسية والأوضاع الاجتماعية والعوامل الاقتصادية ، وغير ذلك من المؤثرات التى لها أهميتها وخطرها فى دراسة تاريخ هذه القبيلة عسى هذه الدراسة أن تخدم المهتمين والباحثين فى أثر قبيلة زناتة فى تاريخ بلاد المغرب عامة ، وفى تاريخ المغرب الأوسط خاصة خلال العصر الوسيط .

بنو راشد وأثرهم فى المغرب الأوسط

أولاً : التعريف ببنى راشد

بنو راشد بطن من قبيلة زناتة [١] ينحدرون من بنى وافين [٢] ، وجدهم راشد هو أخو بادين بن محمد من الطبقة الثانية من زناتة ، ولم يكن من بنى بادين بن محمد كبنى عبد الواد وبنى توجين وبنى زردال ومصاب ، فكان بنو راشد من أبناء عمومة بنى عبد الواد [٣] وأحلافًا لهم [٤] وليسوا إخوانهم كما يظن خطأً [٥] ، وكانت مواطن بنى راشد وأحلافهم بنى عبد

(١) ابن سعيد:الجغرافية،ص ١٤٥ ،تحقيق إسماعيل العربى،ط١،بيروت، ١٩٧٠م؛ابن خلدون:العبر،ج٧،ص ٦٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٤ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٤ .

الواد تمتد طولاً من البحر إلى الصحراء ، وعرضًا من ناحية جبال سعيدة [١] حيث يجاورون توجين ومغراوة إلى ملوية [٢] حيث يجاورون مرين [٣]

كان بنو راشد يقطنون منطقة جبل بنى راشد الذى حمل اسمهم [٤] عبر الأطلس الصحراوى [٥] جنوب المغرب الأوسط [٦] وهى لا تبعد كثيرًا عن تاهرت [٧] ووهران [٨] ، وجنوبها قصور بنى عامر فى

---

[١] تقع جبال سعيد على مقربة من مدينة تنس وهى تعتبر من عمل مدينة تنس كان يسكنها بربر قبيلة زواوة واشتهرت بزراعة الشعير وتربية الماعز والنحل . كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٧٠ ، تحقيق محمد صبحى وآخرين ، الرباط ، ١٩٨٩ م .

[٢] والملوية نهر يجرى فيه شرق المغرب الأقصى من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى . المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١١٦ – ١١٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٣ – ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٢ ؛ الميلى : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، ج٢، ص ٣٤٨ ، مكتبة النهضة، الجزائر، ١٩٦٣م .

[٤] االمصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٥٦ ، ٧٤ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١١٧ ، ج٧ ، ص ٧٣ ، ١٠٢ ؛

Diehl (Charles) : L'Afrique Byzantine, Histoire de la domination Byzantine en Afrique , p . 97 , Paris , 1890 .

[٦] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٤ .

[٧] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ، القاهرة ، ١٩٣٨م ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم الأقاليم ، ص ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، ط٢ ، ليدن ، ١٩٠٦ م ؛ البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، ص ٦٧ ، تحقيق دى سيلان ، القاهرة ، ١٩١١؛ المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١١٧. وتيهرت بكسر التاء بعدها يا ء فهاء مفتوحة فراء ساكنة . ويقال أيضًا تاهرت . وهى اسم لمدينتين إحداهما على ربوة يحيط بها سور . أسست قبل الإسلام . وافتتحها القائد العظيم عقبة بن نافع . وكانت لبرقجانة . وضعف عمرانها منذ العصر الرومى . وانتعشت قليلاً أيام الرستميين . وكانت تدعى أيضًا حصن ابن بخاتة . وبعد الرستميين خربت وأسس مكانها تيهرت الفرنسية المدعوة اليوم تيارت .

والثانية تيهرت الحديثة أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م غربى القديمة على خمسة أميال منها محاذية لتاقدمت . البكرى : المصدر نفسه ، ص ٦٦ – ٦٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان، ج٢ ، ص ٧ – ٩ ، بيروت ، ١٩٨٤م ؛ الميلى : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

[٨] المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٧٠ . ووهران : مدينة ساحلية فى غرب الجزائر بالقرب من تلمسان ، وكانت فى القديم قرية بربرية قليلة الشأن اسمها إيفرى ومعناها الكهف ، ثم حدث فى أواخر القرن الثالث الهجرى أن حط بها جماعة من المهاجرين الأندلسيين البحريين ، فأسسوا هناك مدينة وهران ، وفى هذا الصدد يقول البكرى : " ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة ، وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع . وبنى مدينة وهران محمد بن أبى عون ، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين باتفاق منهم مع نفزة وبنى مسفن من ازداجة سنة تسعين ومائتين " . المغرب ، ص٧٠-٧١؛ ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، ج٣، ص١٥٤، هـ١، تحقيق أحمد مختار العبادى ، محمد إبراهيم الكتانى ، الدار البيضاء، ١٩٦٤م .

الصحراء [١] ، وتحتل موقعًا استراتيجيًا مهمًا بين المغربين الأوسط والأقصى [٢] وتشتمل على جبال شاهقة وسهول خصبة [٣] .

وكان من مواطنهم مدينتا المعسكر [٤] وأفكان [٥] ، والمعسكر وقيل وقيل أم عسكر [٦] التى كانت توجد جنوب مدينة تلمسان [٧] تعد اليوم اليوم من المدن الشهيرة [٨] ، وذكرها الإدريسى بقوله : " مدينة عظيمة لها ثمار وأنهار " [٩] ويقال إنها كانت معسكر للأئمة الرستميين [١٠] واتخذها بنو زيان معسكرًا للإجلاب على مرين حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى [١١] ولم يعتنوا بتمدينها [١٢] حتى مصرها الأتراك [١٣] .

---

[١] ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا، ص ١٣٨ ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، طبعة القاهرة ، ١٩٥١م ؛ العبر ، ج٧ ، ص ١٥٨ ، ٣٩١ .

[٢] ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٥ ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ؛ السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٣ ، ص ١٧٢ ، تحقيق جعفر الناصرى ، محمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤؛ ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٣٣٨ .

[٣] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ، ترجمه عن الفارسية محمد حجى ، محمد الأخضر، بيروت ، ١٩٨٣ م ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٤] ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٥] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٦] يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٢٥٠ .

[٧] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ . تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، وهى مدينة قديمة لها سور حصين ، وبها أسواق ومساجد ، ولها مسجد جامع وأسوار وأنهار عليها الطواحين ، ويذكر الحميرى أن تلمسان هى دار مملكة زناتة ، وتمتاز بكثرة الخصب والرخاء . البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٦ ؛ الروض المعطار فى خبر الأقطار ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

[٨] الميلى : تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .

[٩] نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ج ١ ، ص ٢٥١ ، بيروت ، ١٩٨٩م .

[١٠] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ ؛ الميلى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .

[١١] يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٥٠ . وعن مغرب القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى انظر ملحق رقم (١) ، (أ) .

[١٢] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ – ٢٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[١٣] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

وأفكان[١] ويقال أيضًا فكان [٢] جنوب المعسكر [٣] وعلى بُعد مرحلتين من تلمسان [٤] أقامها يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى [٥] واتخذها معسكرًا لرئاسته وعاصمة لبنى يفرن [٦] قال البكرى [٧] : " وكان وكان ابتداء تأسيسه لها فى سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تاهرت ويلل وشاطئ بنى واطيل ووهران وقصر الفلوس ، ومن ثم ظهر عمرانها وتمدنها وقوتها . وهى فى سفح جبل أوشيلاس . بجوفها ذو شعراء غامضة وقبلها نهر سيرة ينبعث من عيون شرقها . عليه الأرحاء والبساتين عبر ضفتيه . ومن الغرب كان أسفل بساتينها مجمع وادى سيرة ووادى سي ووادى هنت . وعلى المدينة سور طوب . وبها جامع وحمام وفنادق " .

وقد ظلت مدينة أفكان عاصمة لبنى يفرن حتى كانت غزوة جوهر الصقلى قائد الفاطميين للمغرب الأوسط والأقصى ، فخرب المدينة وأحرقها بعد أن قتل يعلى بن أبى يفرن وهزم جيوشه فى عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٨م[٨] ، فأعاد بنى راشد تخطيط هذه المدينة التى عرفت باسم

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٥ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٧٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨١ . وعن موقع مدينة أفكان انظر ملحق رقم (١) ، (ب) .

(٢) ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ .

(٣) كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ؛ ج٧ ، ص ٢١ ، ص ٧٠ ؛ السنوسى : زناتة والخلافة الفاطمية بالمغرب بالمغرب ، ص ٦٨ ، ط١، جامعة عين شمس، ١٩٦٨ .

(٥) البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٢١، ١٨١ . يعلى بن بن محمد بن صالح اليفرنى كان أبو محمد بن صالح زعيم بنى يفرن بتلمسان فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وعندما لقى حتفه على يد أحد أفراد قبيلته خلفه فى رئاسة بنو يفرن ابنه يعلى بن صالح الذى ذاع صيته فى بلاد المغرب ، واستولى على تاهرت ووهران فى عام ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م ، واتخذ موقفًا عدائيًا من الدولة الفاطمية إذ تعاون مع أعدائها أموى الأندلس ، وخطب لهم على منابره ، ثم كان مصرعه فى عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م بيد جوهر الصقلى قائد الفاطميين . ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٦) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١ ؛ السنوسى : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٧) المغرب ، ص ٧٩.

(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٢، ١٨١ .

مدينة بنى راشد نسبة لمجدديها بنى راشد الذين اتخذوها حاضرة وقاعدة لجبلهم [١] .

واختار بنى راشد موقع جبلهم لحصانته [٢] وبذلك يكونون فى مأمن من هجمات الدول المعادية وإغارات القبائل المخالفة الطامعة فى التغلب على أراضيهم الغنية [٣] ولكونه بين قبائل زناتية [٤] كقبيلة بنى يفرن التى استقر بعض بطونها فى المغرب الأوسط بنواحى تلمسان إلى جبل راشد [٥] وكبنو سنجاس الذين كانوا يضربون بالجبل [٦] وبطون الأغواط الأغواط المغراوية الذين كانوا يظعنون بين الجبل ومنطقة الزاب [٧] ، وبنو توجين الذين امتدت أراضيهم ما بين الجبل ومواطن قبيلة صنهاجة [٨] .

كما كان لموقعه ميزة لديهم أيضًا وهو إشرافه على الصحراء [٩] إذ كان أغلبهم رجالاً قائمين على المواشى ، ففى الصحراء يجدون حاجة ماشيتهم [١٠] ، وكان بنو راشد أحلافًا لبنى عبد الواد يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم ، وكان يمكنهم بواسطة الصحراء إدانة حلفهم واتصالهم معهم [١١] .

---

[١] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٢] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٥٧ ، ١٨١ .

[٣] المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

[٤] المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

[٥] ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٧٢ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٦ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٨ .

[٨] المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٧٥.

[٩] المصدر نفسه ، ج ٧، ص ١٨١ .

[١٠] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[١١] المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

وفضلاً عن ذلك فقد اختار بنو راشد _ شأنهم شأن معظم بطون قبيلة زناتة _ سكنى الجبال والبادية ؛ لأنها أشبه بأولى العز وأليق بذوى الأنفة [١] .

تغلب بنى راشد خلال المرحلة الأخيرة المضطربة من حياة الدولة الموحدية على العديد من مضارب البطون البربرية التى ضعفت عصبيتها فى المغرب الأوسط ؛ إذ توجهوا نحو المناطق الشمالية لأهميتها من الناحية الاقتصادية خاصة فى النشاط الزراعى ، فخصوبة الأراضى تساعدهم على إيجاد الكلأ والماء لمواشيهم [٢] وأغاروا على المنطقة التى تتدرج ضمن مضارب قبيلة مديونة [٣] من بنى فاتن بجبل مديونة بنواحى تلمسان جنوبًا وجدة غربًا وجبل راشد شرقًا [٤] ، فتغلبوا عليها [٥] كما توجهوا إلى المنطقة التى كانت فى الماضى مضارب بنى يفرن فسيطروا على قلعة هوَّارة التى سميت باسمهم [٦] بعد استيلائهم عليها وإبعادهم قبائل بنى ومانوا وبنى يلومى الزناتيين الذين استوطنوها حتى عصر الموحدين [٧] ، وكان بنو ورسيد من بنى ضمر من بين القبائل الزناتية التى أجبرها بنو راشد على ترك مضاربها حين أزاحوهم عن موطنهم بالسهول الواقعة شرق تلمسان ودفعوهم إلى الجبل المطل على تلمسان [٨] .

---

[١] السنوسى : زناتة ، ص ٥٥ .

[٢] المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٤٩ ، ١٨٠ – ١٨١ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٧ ، ١٤٨ – ١٤٩ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٤٩ ، ١٨٠ – ١٨١ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨٠ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٦٦ ، ١٨٠ .

[٨] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٦٣ ، ١٨٠ – ١٨١ .

ثانيًا : التاريخ السياسى لإمارة بنى راشد

لم يكن لبنى راشد ذكر باسمهم مع أول الفتح الإسلامى لبلاد المغرب ، وإنما كانوا يعرفون مع عبد الواد ومرين وتوجين ببنى واسين [١] ، كما لم يكن لبنى راشد مُلك فى القرون الهجرية الأولى [٢] ؛ لأنهم أبعدوا فى فى القفر وكان من العسير قيادتهم [٣] ؛ مما حمل المؤرخين على عدم العناية بتدوين أخبارهم ؛ لذلك لم يصل إلينا منها شيئًا عصر إذ ، حيث عظم شأن بنى راشد وكثروا مع مرور السنين [٤] وزادت قوتهم وانتشروا وتوسعت مضاربهم فحفظ التاريخ ذكرهم ودون المؤرخون أخبارهم [٥] .

إن أول ما وصلنا عن أخبار بنى راشد أنهم خضعوا سياسيًا للدولة الحمادية التى حكمت المغرب الأوسط فى الفترة من ٤١٩ – ٥٤٧ هـ / ١١٢٨ – ١١٥٢ م [٦] ، ولكنهم لم يخضعوا فعليًا لسلطانها لحصانة جبلهم ومناعته [٧] وبُعده فى الصحراء عن مركز هذه الدولة التى ضعف نفوذها أو كاد ينعدم عليهم [٨] .

كما استعصى بنى راشد فى أواخر الدولة الحمادية على الهلاليين [٩] [٩] وأحلافهم الذين لم يتمكنوا من النفاذ إلى موطنهم ، فى الوقت الذى تعرض فيه الزناتيون لتدفق الهلاليين الذين تقدموا نحو المغرب الأوسط

---

[١] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٦٩ – ٧٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٣ – ٧٤ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٠ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٧ ، ٥٧ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٨] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٧ .

[٩] شهد المغرب توافد أعداد كبيرة من الأعراب فيما يعرف بالغزو الهلالى ، ولم يكن هؤلاء من بنى هلال فحسب ، بل ضم الغزو عناصر أخرى ، ولكن اضفى عليه هذا الاسم لشهرة بنى هلال وكثرتهم ، وينتسب بنو هلال إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن منصور بن عكرمة بن خصر بن قيس بن عيلان ، ومن أبرز عناصرهم رياح وزغبة والأثبج وقرة ، ويوجد إلى جانب الهلاليين عناصر أخرى منها بنو سليم وغيرها . المصدر نفسه ، ج٦، ص١٥ وما بعدها ؛ الميلى : تاريخ الجزائر، ج٢ ، ص١٥٧.

من ناحية الصحراء ، حيث كانت تكثر خيام زناتة [١] وكان لبنى راشد شأن معهم فى مدافعة العرب عن هذه الجهة ، فكان بين الفريقين مواقف صعبة أكثر الهلاليون من ذكرها فى أشعارهم [٢] قال ابن خلدون [٣] : " " وسار الملتحم بينه فى الضواحى بجبل راشد ومصاد " .

ولما ظهر أمر الموحدين سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م أسرع إليهم بنى راشد وأعلنوا الدخول فى طاعتهم مع بقية بطون قبيلة زناتة [٤] كأبناء عمومتهم بنى عبد الواد الذين كانوا أسبق زناتة ولاءً للموحدين [٥] ؛ لأنه كان يربطهم ببنى عبد الواد رابطة الدم والنسب والعصبية والحلف [٦] ، فكانوا أحلافًا لهم يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم وربما نبذوا طاعتهم ، وقد جاء عند ابن خلدون [٧] " أنهم لم يزالوا أحلافًا لبنى عبد الواد ومن جملتهم فكانت أخبارهم من أخبارهم " وكانت رئاستهم لهذا العهد فى بنى عمران منهم لإبراهيم بن عمران ، وخلف عليه أخوه ونزمار إلى أن هلك فخلفه ابنه مقاتل ، فقتل عمه إبراهيم ، وخلف إبراهيم ابنه ونزمار [٨] .

ولما ضعفت الدولة الموحدية فى أواخر القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى وأخذت مختلف القبائل الزناتية فى المغرب الأوسط تقتطع أراضى التل الغنية ، واستولى بنى عبد الواد على الأراضى التابعة

---

[١] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٣ ، ج٧ ، ص ٧٣ .

[٢] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٧٣ .

[٣] العبر ، ج٦ ، ص ٢٣ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ .

Terrasse (H) : Histoire du Maroce , vol . 1 , p . 105 , New York , 1975 .

[٥] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٤ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٤ .

[٧] العبر ، ج٧ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

[٨] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

لتلمسان استقل بنو راشد [١] واحتلوا الجبل الذى أصبح يحمل اسمهم [٢] ، ، وبدأوا مرحلة التوسع على حساب أراضى الدولة الموحدية ، فغلبوا مديونة وبنى ورسيد على بسائطهم واستوطنوا الجبال الموجودة شرق تلمسان فكان ذلك أولى خطى تأسيس إمارة زناتية صغيرة موالية للدولة الزيانية [٣] .

مال بنى راشد إلى بنى زيان لتوطيد أمرهم وعملوا على تحسين العلاقة معهم عن طريق استثمار الروابط القبلية التى تربط بينهم وإن لم تصل هذه الروابط وتلك العلاقات إلى درجة الانتماء الوطنى ، وإنما خضعت إلى لون من العصبية أحيانًا للدولة وأحيانًا للقبيلة ، ومن ثم سنلاحظ أن هذه العلاقة لم تأخذ طابع الاستقرار طوال الفترة التاريخية لعصر إمارة بنى راشد ، وبدأ بنى راشد علاقتهم بالدولة الزيانية أثناء مرحلة تأسيس الدولة فى أيام جابر بن يوسف أحد كبار أمراء بنى عبد الواد ؛ إذ قدموا له يد العون والمساعدة فى صراعه لاستخلاص مدينة تلمسان من يد أحد رجال لمتونة الثائرين على واليها الموحدى وأنجدوه حتى تمكن من دخول المدينة فى عام ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م [٤] .

على الجانب الآخر لم يحاول بنو زيان استغلال هذه الروابط القبلية ؛ لذلك فإن العلاقة بين الدولة الزيانية وقبيلة بنى راشد عامة كانت قائمة على أساس التسلط والسيطرة وعلى روح التنافس والصراع ، وبدأ بنو عبد الواد الصدام مع بنى راشد فى أيام جابر بن يوسف الذى ما كاد

---

[١] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٦٣ ، ١٤٨ – ١٤٩ ، ١٨٠ – ١٨١ .

[٤] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٨٨ .

ينتهى من السيطرة على مدينة تلمسان حتى استولى على إمارة بنى راشد وضمها إلى نفوذه [١] .

نبذ بنى راشد طاعة بنى عبد الواد بتحريض من بنى المطهر [٢] أحلافهم أيام الصحراء الذين حقدوا على بنى زيان لما آل إليهم من سلطان [٣] ، فكان بينهم وبين بنى عبد الواد الذين آل أمرهم إلى زيدان بن زيان ٦٣١ – ٦٣٣ هـ / ١٢٣٣ – ١٢٣٥ م حروب قتل فيها زيدان أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م [٤] ، فلما خلفه أخوه أبو يحيى يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة العبد وادية ٦٣٤ – ٦٨٣ هـ / ١٢٣٦ –١٢٨٣ م كان أول عمل عسكرى له أن خاض غمار الحرب ضد بنى راشد وأحلافهم حتى قضى على تمردهم وأعادهم إلى الطاعة [٥] .

كانت رئاسة بنى راشد لعهد يغمراسن لونزمار بن إبراهيم بن عمران [٦] وهو من أعظم رؤساء البربر [٧] ، فأحسن سياسة قومه مع بنى مرين مرين [٨] وبنى عبد الواد لتعزيز سيادته [٩] ؛ إذ ساند بنى راشد السلطان أبى يحيى عبد الحق المرينى ٦٤٢ – ٦٤٧ هـ / ١٢٤٤ – ١٢٤٩ م فى خلافه على الموحدين وشارفوا إلى جانبه فى محاربة الخليفة الموحدى أبا

(١) التنسى : نظم الدر والعقيان في ذكر شرف بنى زيان ، ص ١١٣ ، تحقيق بو عياد ، الجزائر ، ٢٠٠٧م .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨٨ ؛ التنسى : المصدر نفسه ، ص ١١٣ . وبنو مطهر من زناتة أيضًا ومن أبناء عمومة بنى عبد الواد . المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩١ .
(٣) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٨ ؛ التنسى : المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(٥) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩٣ ؛ التنسى : المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨١ .
(٧) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١٢٢ .
(٨) مجهول : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، ص ٦١ ، اعتنى بنشره الشيخ محمد بن أبى شنب ، طبع بمطبعة جول كربونل فى ساحة الدولة بالجزائر ، سنة ١٩٢٠ م ؛ ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، ج٤ ، ص ٣٧١ ، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وآخرون، دار الغرب الإسلامى، بيروت ، ١٩٨٥م ؛ السلاوى : الاستقصا ، ج٣ ، ص ٣٢ ؛ المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٣٠٥ .
(٩) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

الحسن على السعيد ٦٤٠- ٦٤٦هـ / ١٢٤٢ – ١٢٤٨ م فى عام ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م [١] ، كما تعاونوا مع الزيانيين فى صراعهم مع بنى مرين مرين للاستيلاء على الناحية الشرقية من المغرب الأقصى مما يلى نهر ملوية فشاركوا إلى جانب الأمير يغمراسن بن زيان فى معركتى إيسلى قرب وجدة فى عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م [٢] ووادى تلاغ قرب نهر ملوية ملوية فى عام ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م [٣] .

وبعد أن توفى ونزمار بن إبراهيم بن عمران الذى طال عمره إلى أن هلك سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م خلفه غانم بن محمد بن إبراهيم ثم موسى بن يحيى بن ونزمار الراشدى [٤] الذين ساروا على السياسة نفسها الموالية للدولة الزيانية ، حيث سالموا سلاطينها ولاسيما السلطان أبا تاشفين بن موسى بن عثمان الزيانى ٧١٨ – ٧٣٧ هـ / ١٣١٨ – ١٣٣٦ م ؛ إذ اشتركوا بقواتهم فى الحملات العديدة التى وجهها إلى إفريقية خاصة إلى ناحية بجاية بهدف التوسع فى الناحية الشرقية على حساب الإمارة الحفصية ٦٢٥ – ٩٨١ هـ / ١٢٢٨ – ١٥٧٣م [٥] .

إلا أن موقف بنى راشد من بنى زيان لم يلبث أن اختلف منذ استيلاء المرينيين على تلمسان سنة ٧٣٧ هـ / ١٨٣٦م على عهد السلطان أبى الحسن على بن عثمان المرينى ٧٣٢ – ٧٤٩ هـ / ١٣٣١ – ١٣٤٨ م

(١) مجهول : المصدر السابق ، ص ٦٢ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٧١ ؛ السلاوى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٢ ؛ المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٣٠٥ . والسعيد هو أحد خلفاء الدولة الموحدية الضعفاء ، إذ عانت الدولة فى عهده من الفوضى والاضطراب فى بلاد المغرب والأندلس ، وقد سقط قتيلا فى عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م قتيلا فى معركة نشبت بينه وبين يحيى بن زيان أمير تلمسان . المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩٦ – ٩٩ ؛ التنسى : نظم الدر ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٢) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١٨ . ووجدة مدينة قديمة على بعد ٨٠ كيلو متر غربى تلمسان ، كانت تابعة لمملكة بنى عبد الواد وهى اليوم على الحدود الجزائرية المغربية . التنسى: المصدر نفسه، ص ٢٨٧

(٣) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ . وعن أمراء بنو راشد ، انظر ملحق رقم (٢) .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٢٧ .

، حيث صارع أميرهم أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن بن ونزمار بإعلان الطاعة والإنحياز للسلطان أبى الحسن ، فنقله مع من وجد بتلمسان من بعض أشياخ بنى راشد وشيوخ بنى عبد الواد إلى المغرب الأقصى ، فمات هناك وخلفه ابنه زيان ، ولعل موقف بنى راشد هذا يرجع إلى سياستهم التى كانت تهدف إلى مسالمة كل من ظهرت عصبيته وقوى أمره وفرض سلطته على هذه الدولة فى مقابل المحافظة على إمارتهم [١] .

كما يرجع هذا الموقف إلى تطلع بنى راشد إلى معاقبة الدولة الزيانية التى كانت تحاول مرارًا إخضاعهم والسيطرة عليهم رغم رابطة العمومة التى كانت تربط بينهم ، ورغم ما قدموه من قوات كانت تسهم فى الحروب التى خاضتها الدولة يقول ابن خلدون [٢] : " وكان فى قلوب بنى راشد أحلافهم مرض " .

ثم واتت بنى راشد الفرصة للانتقام من بنى زيان عندما كان يحاول السلطان أبو ثابت بن أبى زيد بن أبى زكريا بن يغمراسن ٧٤٩ – ٧٥٣ هـ / ١٣٤٩ – ١٣٥٢ م استرجاع نفوذ الدولة العبد وادية فى المغرب الأوسط سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م ، ونهض إلى مدينة وهران التى كان يحكمها بنو أجانة [٣] وحاصرها أيامًا ، ثم خرجت إليه حاميتها وهاجمت جيشه بعنف فخذله بنى راشد وانحازوا إلى جانب بنى أجانة ، فانهزم بنى عبد الواد وأفلت أبو ثابت من المعركة ونجا إلى عاصمته [٤] .

---

[١] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٢] العبر ، ج٧ ، ص ١٤٠ .

[٣] بنو أجانة : أسرة أقامها السلطان أبا الحسن المرينى على مدينة وهران ، التى انتزعها من بنى عبد الواد فى سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، وبرز منهم القائد عبو بن سعيد بن أجانة . المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٤٠ ، ص ٣٠٤ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٤٠ .

كما أعان بنى راشد السلطان أبو الحسن المرينى على الفرار جنوبًا إلى المغرب الأقصى عن طريق جبلهم فى الصحراء فى أعقاب فشل الهجوم الذى قام به على الناحية الشرقية من المغرب الأوسط فى سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م [١] .

وعندما نافس السلطان أبا سالم إبراهيم بن على المرينى ٧٦٠ – ٧٦٣ هـ / ١٣٥٩ – ١٣٦١ م السلطان أبو حمو موسى بن أبى يعقوب بن أبى زيد الثانى ٧٦١ – ٧٩١ هـ / ١٣٥٦ – ١٣٨٦ م ، وبدأ بتحريك أحلافه فى المغرب الأوسط ثار زيان بن أبى يحيى الراشدى فى قومه بنى راشد داعيًا للأمير العبد الوادى أبى زيّان حفيد السلطان أبى تاشفين الأول الملقب بالقُبَّى [٢] ، وظهر هذا الأخير فى الناحية الغربية بجبل بنى يَزْناسن ، وقد اجتمع إليه بعض أتباع بنى مرين من المعقل وبنى يزناسَن ، فوجه السلطان أبو حمو موسى الثانى إلى زيان الراشدى جيشًا بقيادة ابنه أبى تاشفين والشيخ عمران بن موسى اللؤلؤى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م ، فأغار على أراضى بنى راشد وفرّ زيان بن يحيى والتجأ إلى عرب سويد [٣] ، ثم عاد إلى وطنه ودعا بنى مرين ؛ مما جعل عمران بن موسى اللؤلؤى يتجه إليه ويهزمه هزيمة أكبر من الأولى وأجلاه من أراضيه مما جعله يتجه مرة أخرى إلى المغرب الأقصى [٤] .

وعندما عاد إلى قلعة بنى راشد بعد عقد الصلح مع بنى عبد الواد فى رجب سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م اتهمه أبو حمو موسى الثانى بمراسلة بنى مرين ، فقبض عليه واعتقله بوهران ففر من معتقله وتوجه إلى

---

[١] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٣٣٨ ؛ مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٩ .

[٢] القُبَّى يعنى:عظيم الرأس،وكان هذا الأمير قد أخذ صغيرًا بعد مقتل جده أبى تاشفين الأول وأبيه أبى سعيد عثمان سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م،وربى فى قصور بنى مرين بفاس.يحيى بن خلدون:بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٦٥ .

[٣] يحيى بن خلدون : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٩ –٨٠ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٠ – ٨١ .

المغرب الأقصى ، وعند عودته تظاهر بالإخلاص لأبى حمو فعفا عنه وولاه على قومه [١] ، فأعرب له عن إذعانه لطاعته ، وأسهم بقوات بنى راشد فى جيوشه الزاحفة للاستيلاء على بجاية فى شوال سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م [٢] ، كما أنه انحاز إلى جانبه فى مواجهة منافسه على العرش أبا زيان ابن السلطان أبى سعيد ، حيث شارك بحشود بنى راشد فى مدافعة أبى زيان عن الأراضى الخاضعة للسلطان [٣] ، ثم خشى السلطان أبو حمو من شره فأعتقله حتى قتله سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م ، وبموته انتهت إمارة بنى راشد ورئاسة ونزمار بن إبراهيم [٤] ومن قبلهم رئاسة ونزمار بن عمران يقول ابن خلدون [٥] : " وقد ذهبت لهذا العهد رئاسة أولاد عمران جميعًا " .

وحاول بنى راشد جمع شتات قومهم لإحياء ملكهم من جديد واغتنموا فرصة سقوط تلمسان سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧١ م فى يد السلطان أبى فارس المستنصر عبد العزيز بن على ٧٦٨ – ٧٧٤ هـ / ١٣٦٦ – ١٣٧٢ م وداخلوا وزيره أبى بكر بن غازى فى شأن الالتحاق ببنى مرين والانصراف عن جيش السلطان أبو حمو موسى الثانى الذى غادر عاصمته منهزمًا نحو الجنوب [٦] ، ولم يثنى تخاذل بنى راشد السلطان أبو حمو موسى الثانى الذى قرر استرجاع عاصمته عن اتخاذ مدينة المعسكر معسكرًا لمواجهة القوات المرينية بتلك المنطقة [٧] ، ولكنه عندما عندما لقيها بأوماكرا من تل بنى راشد انهزم شر هزيمة واستولى العدو

---

[١] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٢] المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦١ .

[٣] : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٤ –١٨٥ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ .

[٤] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٥] العبر ، ج٧ ، ص ١٨٢ .

[٦] يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٢٣٨ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٠ .

على ظعنه بما اشتمل من مال وذخيرة وأهل وولد [١] ، وكاد بنى راشد يُفلحون فى تحقيق آمالهم فى استرداد إمارتهم ، ولكن جاءت وفاة السلطان عبد العزيز فى أواخر سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧٢ م وانسحاب القوات المرينية فى أعقاب ذلك من تلمسان [٢] مخيبة لهذه الآمال .

ومرة أخرى أعاد بنى راشد الكرة سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م وكانت هذه المرة بمشايعة أحد أمراء أولاد منديل وهو على بن هارون الذى نُصِّبَ أميرًا بناحية شلف بمساعدة بنى مرين ، وأخذ يعمل على إحياء إمارة أجداده بهذه الناحية وراح يستغيث بأعداء السلطان أبو حمو [٣] ، ولكنه لم يقو على مقاومة هجوم جيوش الدولة الزيانية ، وفرّ فى عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م اتجاه المغرب الأوسط [٤] ، وبهذا الفشل أظعن بنى راشد لطاعة السلطان أبو حمو الذى كسر شوكتهم وأجبرهم على دفع الجباية [٥] والمشاركة فى حروب الدولة [٦] .

هكذا كان لسوء السياسة التى انتهجها بنو زيان مع أحلافهم بنو راشد الأثر الأكبر فى انهيار ملكهم وانحطاط شأنهم ، فبالرغم من أن بنى زيان لم يقووا على تحقيق استقلالهم بالمغرب الأوسط إلا بمعاضدة بنو راشد [٧] وبالرغم من أن سلاطين بنى زيان لم يتمكنوا من استرجاع نفوذهم على المغرب الأوسط إلا بمساندة جموع بنى راشد [٨] ، وبالرغم من أنهم أنهم كانوا فى حاجة لمشاركة قوات بنى راشد فى حروبهم ضد أعدائهم

---

[١] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٩ .

[٢] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٦٠ ؛ المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٧٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٠ – ٨٢ ، ٨٥ – ٨٦ .

[٥] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٢ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٦٦ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٨ ، ١٨١ ، ٢١٨ .

[٨] يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٢٦ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٤٩ ؛ التنسى : نظم نظم الدر ، ص ١٥٩ .

[١] أقول بالرغم من ذلك كله فإن سياستهم قد اضطربت معهم فإذا كانت الحرب واحتاجوا إليهم صانعوهم واستمالوهم وجددوا لهم العهد على ولايتهم [٢] ، وإذا قوى أمرهم واستغنوا عنهم بالسلم قوضوا استقلالهم [٣] وسجنوا رؤساءهم وطاردوهم وخلعوهم من ولاياتهم [٤] .

وقد نتج عن هذه السياسة أن تمكن الضعف من بنى راشد وطمعت القبائل العربية فى مضاربهم[٥] ، فكانوا من نصيب العمور [٦] الذين أزاحوهم إلى القلعة والمعسكر جنوب تلمسان [٧] ، وسكنوا الجهة سهلاً وجبلاً وأطلقوا اسمهم على الجهة فأصبحت تعرف بجبل العمور [٨] .

والعمور ليسوا من الأثبج وإنما هم ملحقون بهم ، ويحتمل أنهم من عمرو بن عبد مناف بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال ، أو من عمر بن رويبة بن عبد الله بن هلال ، قال ابن خلدون : وليسوا من ولد عمرو بن أبى ربيعة ابن نهيك بن هلال " وهم بطنان مرة وعبد الله . فمرة على كثرتهم مفترقون فى القبائل والمدن وحدانا ، وعبد الله فخذان ماضى ومحمد ، ومحمد فصيلتان عنان وعزيز ، ومن عنان شكر وفارس ، ومن شكر زكرير ومحيا . وفى العمور فرسان وأكثرهم رجالة وليسوا فى ولاء دولة ولا لهم رئاسة ولا ناجعة لافتراق كلمتهم ، وبين أولاد شكر فتن متصلة ، فحال أولاد محيا سويد بن زغبة ، حالف أولاد ذكرير بنى عامر " ونزل أولاد شكر جبل بنى راشد ، ثم استقل به أولاد محيا ، وطردوا

---

[١] يحيى بن خلدون : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٤ ، ١٩٤ ؛ المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٨٨ ، ١٢٧ ، ٢١٨ .

[٢] يحيى بن خلدون : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٤، ١٩٤ ؛ المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٣ ؛ التنسى : المصدر السابق ، ص ١١٤ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٣٠ – ٣٢.

[٧] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤.

[٨] وعن قبائل جبل راشد العربية انظر ملحق رقم (٣) .

منه أولاد زكرير إلى جبل كسال غربيه " [١] . ولما تغلب أولاد محيا على جبل بنى راشد بقى بعض بنى راشد مساكنًا لهم بالجبل [٢] .

وخلال الفترة التى تلت عصر ابن خلدون وحتى الاستيلاء التركى على المغرب الأوسط استمر بربر بنى راشد خاضعين لسلطان دولة بنى عبد الواد يؤدون الجباية التى وصلت إلى أكثر من ٢٠ ألف مثقال ، ويسهمون بـ ٢٠ألف فارس على الأقل مجهزين بخيولهم وآلاتهم فى جيش سلطان تلمسان [٣] .

ثالثًا : بعض مظاهر حضارة قبيلة بنى راشد

لقد أثرت تضاريس موطن بنى راشد الجبلية المعزولة فى الصحراء على حضارتهم التى ظلت محافظة على أصولها البربرية عبر العصور ، وفيما يلى عرض لبعض مظاهر هذه الحضارة التى اتسمت بطابعها البدوى .

أولا : النظم

كان بنى راشد من القبائل البربرية الداخلة فى الإطار السياسى والإدارى للدولة الزيانية فى المغرب الأوسط [٤] ، حيث خضع شيوخ بنى راشد مباشرة لسلاطين بنى عبد الواد الذين عقدوا لهم على ولاية القبيلة ومنحوهم استقلالًا داخليًا بشئونهم الإدارية ، أى شبه استقلال عن الدولة الزيانية التى احتفظت بحقها فى تعيينهم وعزلهم من مناصبهم .

وانحصرت السلطة الإدارية فى بنى راشد فى بيت بنى عمران ، وتمتع شيوخ هذا البيت بالسلطة الإدارية على القبيلة ؛ لكونهم يمثلون السلطة المركزية من الناحية الإدارية ، فكانوا يتولون المناصب الهامة فى

---

[١] المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٣٠ – ٣٢ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٦٧ .

[٣] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٧ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٤] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٨٤ ، ٨٨ ، ١٨١ ؛ التنسى : نظم الدر ، ص ١١٣ – ١١٤ .

القبيلة كولايتها [١] وقيادة قواتها فى الحروب [٢] وجباية الأموال من رعاياها [٣] ، كما عين شيوخ بنى راشد القضاة الذين يتولون الأحكام فى القبيلة [٤] .

وبعد سقوط الإمارة سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م أشرف على بنى راشد إداريًا عامل [٥] ينوب عن السلطان الزيانى فى تسيير إدارتها [٦] ، وأوكلت السلطات العسكرية لقائد عسكرى يرجع إلى حاكم مدينة الجزائر ويعاونه فرقة عسكرية ، وكُلف بمهمة مواجهة الأعراب الذين ليسوا فى ولاء دولة ولا لهم رئاسة ، كما انتقل مقر إدارة بنى راشد من مدينة بنى راشد العاصمة [٧] إلى مدينة المعسكر التى أقام بها العامل وقائده وقواته [٨] .

وأما فيما يخص النظم العسكرية فنجد أن منطقة بنى راشد كانت من المناطق الحصينة فى المغرب الأوسط [٩] لتوغلها فى الصحراء [١٠] ، وعرفت التحصينات العسكرية نشاطًا هامًا عند بنى راشد ذلك عندما أعادوا تأسيس قلعة بنى راشد التى كانت على هيئة القلاع [١١] الحصينة وتميزت هذه المدينة بحصانتها الطبيعية [١٢] ، حيث بنيت على سفح تل

---

[١] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

[٢] يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٦٥ ، ٧٩ – ٨١ ، ١٦١؛ المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٥] كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٦] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

[٧] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٨] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ – ٢٧ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٩] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨٢ .

[١٠] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٧ .

[١١] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[١٢] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢، ص ٣٢٤ .

بين جبلين عاليين [١] ، وقد أحيطت بأسوار ذات أبراج فأصبحت القلعة بذلك من أهم مدن بنى راشد العسكرية [٢] .

كما تجلت عناية بنى راشد بتحصين مدينة المعسكر فى قلعتها التى بقيت حتى فترة متأخرة بحالة جيدة وبها يقيم القائد العسكرى والقوات [٣] ، ، حيث حافظ بنو راشد على الدور العسكرى الذى مارسته المعسكر فى القديم [٤] ؛ إذ يقال إنها كانت معسكرًا للأئمة الرستميين [٥] ثم اتخذها بنو بنو زيان معسكرًا للإجلاب على مرين [٦] .

ولبنى راشد فرسان ورجالة كانوا يستعينون بجموعهم فى الحروب التى خاضتها القبيلة [٧] ، وكانوا مشهورين بالشجاعة والإقدام [٨] ، وأما أسلحتهم فقد تلاءمت مع ظروف حياتهم ، وكان فى مقدمتها السيوف والرماح [٩] مع مهارة فى امتطاء صهوات الخيل وظهور الإبل [١٠] ، واتبعوا الأساليب القتالية المعروفة كشن الغارات والمناوشات [١١] والمباغتة [١٢] .

وكانت مالية بنى راشد خلال مرحلة قوتها تُجمع من مصادر متعددة منها : الدخل الذى يرد من مزاولة النشاط الفلاحى المتمثل فى زراعة

---

[١] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٢] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٣] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٤] يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

[٥] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ ؛ الميلى : تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .

[٦] يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٥٠ .

[٧] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨٨ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٨٠ – ١٨١ ، ٢١٨ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٨] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٩] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٠ – ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ٢٧ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

[١٠] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[١١] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨٢ .

[١٢] يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٥ ، ٨٠ – ٨١ .

الأراضى وتربية المواشى [١] كما كانت تأتى من المغارم المفروضة على القبائل المستضعفة [٢] ، ولكنها خلال مرحلة ضعفها كانت تلتزم بتأدية الضرائب للدولة الزيانية [٣] التى بلغت أكثر من ٢٠ ألف مثقال [٤] .

ثانيًا : الحياة الاقتصادية

عوّل بنو راشد فى إقامة إمارتهم وتحقيق استقرارها على ازدهار النظام الاقتصادى ؛ إذ وجدوا فى توغلهم فى الصحراء بعيدًا عن الأخطار مجالاً لتنمية أنشطتهم الاقتصادية المستمدة من البداوة [٥] .

شغل النشاط الزراعى مكانة لا بأس بها فى اقتصاد بنى راشد ؛ ومما ساعد على ذلك خصوبة أراضيهم الصالحة للزراعة [٦] فى البسائط [٧] وعلى ضفاف الأنهار [٨] ، ووفرة مصادر المياه فى الأنهار [٩] التى تجرى بفضل ذوبان الثلوج التى تتوج جبل بنى راشد [١٠] كنهر سيراة الذى ينبع من جبل بنى راشد قرب مدينة المعسكر [١١]

---

[١] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨٢ .

[٤] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٧ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٥] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٩١ ، ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦.

[٦] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٩١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٧] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ ، ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٨] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٧٩ .

[٩] ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ؛ البكرى : المصدر نفسه نفسه ، ص ٧٩ ؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٢٥١ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[١٠] عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، الجزء الثانى ، ص ٤٤ ، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م .

[١١] كربخال : المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٢٥ .

، وفى الوديان [١] التى تخرج من العيون والأنهار [٢] ، ويشير ابن خلدون خلدون [٣] إلى أهمية أراضى بنى راشد بقوله : " واحتازوا بإقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها " .

توزعت أراضى بنى راشد بين المدن والسهول والمرتفعات وتميزت بالتنوع ووفرة الإنتاج ، وأشار ابن حوقل [٤] إلى مدن الإمارة بقوله : " ولفكان على واديها أعمال عريضة وأجنّة ومزارع ، ومنها إلى المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه مرحلة " .

كما تميزت السهول الجنوبية التى تندرج ضمن مضارب بنى راشد بجودة تربتها التى تنتج الحبوب ، واستغلت سفوح المرتفعات الشمالية فى زراعة الحبوب لكثرة مياهها [٥] ، وازدهرت غراسة الأشجار فى مدن بنى راشد بفضل ما لقيته من عناية واهتمام [٦] ، وعلى الخصوص بقلعة بنى بنى راشد التى كان سكانها يعتنون بالبساتين ويغرسون فيها الكثير من الأشجار المثمرة وكذلك العنب [٧] .

كما أن خصوبة أراضى بنى راشد جعلتهم لا يعتمدون على نمط واحد فى الحياة ، بل نجد ثنائية فى الاستقرار والترحال بين الزراعة وتربية المواشى ؛ لذلك احتل النشاط الرعوى مكانة مهمة فى الحالة الاقتصادية لبنى راشد الذين آثروه ، وقد زادت ثرواتهم بفضل ذلك النشاط [٨] .

---

[١] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٨٩ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥١ .

[٢] البكرى : المغرب ، ص ٧٩.

[٣] العبر ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٤] صورة الأرض ، ص ٨٩ .

[٥] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٦] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٩ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٢٥١ .

[٧] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٨] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٩١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

ومما شجع على نمو هذا النشاط أن أراضى بنى راشد كانت تعد من أحسن المناطق الرعوية فى المغرب الأوسط [١] ، فقد كانت مرتعًا ومرعى لمختلف الحيوانات كالأغنام والأبقار والخيل والجمال [٢] والحمير والحمير والبغال [٣] .

كان بنى راشد يهتمون بتربية الماشية على نطاق واسع ؛ لذلك انتقلوا إلى المناطق الشمالية ، حيث توفرت المياه والكلأ لمواشيهم [٤] خاصة فى قلعة بنى راشد [٥] ؛ ومما زاد من تربية المواشى بها أنها أصبحت موطنًا لأهالى تاهرت [٦] وهو بلد أغلب إنتاجه تربية المواشى والخيول [٧] ، وقد حافظوا على ذلك بعد انتقالهم إلى قلعة بنى راشد [٨] ؛ ولذلك ولذلك اشتهر بنى راشد خاصة بتربية الخيول [٩] ؛ ومما يدلنا على اهتمامهم بتربيتها أنهم كانوا يمدون الدولة الزيانية فى حروبها بآلاف الفرسان الذين كانت تستعين بهم على أعدائها [١٠] .

اهتم بنو راشد بتربية الأبقار لوفرة الكلأ بأراضيهم [١١] واعتنوا بتربية البغال ، ويبدو أن أراضيهم كانت من المصادر المعروفة للبغال ، وقد استعملوها فى حمل الأثقال ونقل المحاصيل [١٢] ، وعلاوة على ذلك

---

[١] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٢] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٣] ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٧ .

[٤] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٦٣ ، ٦٦ ، ١٤٩ ، ١٨٠ – ١٨١ .

[٥] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ،ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٦] البكرى : المغرب ، ص ٧٩ .

[٧] الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٢٥١ .

[٨] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٩] ابن سعيد : الجغرافية ، ص ١٤٥ .

[١٠] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨٨ ، ١٢٧، ١٤٠ ، ٢١٥؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[١١] ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[١٢] ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٧ .

انتشرت تربية النحل فى أراضى بنى راشد ؛ ولذلك كثر إنتاج العسل الذى كان من أهم منتجاتهم التجارية .

كان للنشاط الصناعى أثره فى اقتصاد بنى راشد إذ اعتمدوا عليه فى توفير احتياجاتهم الأساسية ؛ لأن المواد الأولية كانت متوفرة فى مدن القبيلة وبواديها ، وكانت صناعة المنسوجات أكثر الصناعات انتشارًا [١] ؛ لأن بنى راشد كانوا يعمدون إلى الرحلة الموسمية ، وأن مساكنهم عبارة عن خيم مصنوعة من الوبر والصوف [٢] ؛ لذلك نجد أن المنسوجات المنزلية أكثر انتشارًا ثم العباءات والبرانس ، وكانت من بين السلع التى كثر الإقبال عليها خلال عهد إمارة بنى راشد [٣] .

كانت صناعة الفخار من بين الصناعات التى ازدهرت فى إمارة بنى راشد ، وكانت تباع بأسواقها مثل قلعة بنى راشد ، ومن أبرز العوامل التى أدت إلى ازدهار هذه الصناعة فى مدنهم وأريافها استعمالها من جميع الطبقات الاجتماعية سواء أكانت أوانى للطهى أم حفظ المؤنة أم السيول كالزيوت والسمن وغيرها [٤] ، ومن بين الصناعات التى اهتم بنو راشد بها صناعة الأرحاء لطحن الغلال [٥] ، وصناعة السروج وحاجيات الخيول [٦] ، والشمع وحفظ الفاكهة وتجفيفها كالزبيب [٧] .

---

[١] ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٢] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٩١ ، ١٨٠ –١٨١؛ ليون الإفريقى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٣] كربخال : المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٤] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٥] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٧٩ ؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٢٥١.

[٦] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ –٢٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

.

[٧] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٩١ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

كانت التجارة من بين الأنشطة الاقتصادية التى زاولها بنو راشد ؛ ومما شجعهم على مزاولتها أنهم اعتمدوا فى حياتهم على حرفة الانتقال بين الواحات الصحراوية والتلول ومن خلالها يتبادلون أنواع التجارة مع تلك المناطق [١] .

كما أن أراضى بنى راشد احتلت موقعًا استراتيجيًا مهمًا لوقوعها على الطريق بين المغربين الأوسط والأقصى [٢] ولاتصالها بمراكز تجارية كبيرة ومشهورة كتاهرت [٣] ووهران [٤] وتلمسان [٥] ؛ مما جعل مدنها أسواقًا تجارية يتوافد عليها التجار [٦] خاصة مدينة بنى راشد التى ورثت النشاط التجارى لمدينة أفكان [٧] ، وقلعة بنى راشد التى تميز سكانها بالثراء نتيجة الاشتغال بالتجارة والصناعة [٨] .

تنوعت السلع والمنتجات داخل أسواق بنى راشد التى امتلأت بالعديد من المعروضات الزراعية كالحبوب والفاكهة ، والحيوانية كالمواشى والسمن والعسل ، والصناعية كالمنسوجات والزيوت والفخار والسروج وأجهزة الخيل والشمع والزبيب [٩] .

تحقق هنالك تكامل بين الأسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن وبعضها ، فكانت أغلب مصنوعات قلعة بنى راشد تصدر إلى سوق

---

[١] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٩١ ، ١٨٠ –١٨١ ، ٣٩١ .

[٢] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٨٨ – ٩٠ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٧ ؛ ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١١٧ .

[٣] ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ ، ٢٤٧ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢١٧.

[٤] المقدسى : المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ ؛ البكرى : المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

[٥] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٨٩ ؛ المقدسى : المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٦] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٧] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٨٨ – ٩٠ ؛ البكرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

[٨] كربخال : المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٢٤.

[٩] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٧٩ ؛ ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ،ج٢ ، ص ٣٢٤ .

المعسكر [١] ، كما كان سوق بنى راشد الذى يعقد يوم الخميس من بين الأسواق الحضارية التى قصدته مختلف القبائل للتزود منه بما يحتاجونه من مختلف السلع والبضائع [٢] .

بعض ملامح الأوضاع الاجتماعية

يعد بنو راشد من أبرز القبائل الزناتية التى استوطنت المغرب الأوسط [٣] وكانوا يقطنون منطقة جبل راشد الذى أصبح يحمل اسمهم [٤] وعاشوا وعاشوا حياة بدوية خالصة [٥] ، حيث أقاموا فى الصحراء [٦] وسكنوا الخيام واحترفوا الرعى واتخذوا الإبل وركبوا الخيل[٧] وألفوا الترحال والظعن[٨] .

ظل بنو راشد على حالتهم هذه من البداوة حتى القرن السابع الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، حيث ازداد نفوذهم بعد أن انتقلوا فى عهد الدولة الموحدية إلى المناطق السهلية الخصبة إلى جوار إخوانهم من الزناتيين مثل مغراوة وبنى عبد الواد وبنى توجين [٩] واستطاعوا إقامة ملك ملك [١٠] أخذوا يتدرجون فيه من البداوة إلى الحضارة ، وفى ذلك يقول ابن خلدون [١١] : " فإذا خرجوا إلى مشاتيهم بالصحراء خلفوا أتباعهم بالتلول لاعتمار أرضهم وازدراع فُدُنهم وجباية الخراج من رعاياهم " .

---

(١) كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

(٢) ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ –٢٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٧ ، ١٨١ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦

(٨) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٩١ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٩١ ، ١٨٠ –١٨١ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

(١١) العبر ، ج٧ ، ص ٩١ .

وعندما مارس بنو راشد الزراعة عرفوا الاستقرار وسكنوا فيما يشبه القرى [١] ، وقد كان لاستقرارهم فى مناطق الزراعة الفضل الأكبر فى أنهم أعادوا تخطيط مدن حملت اسم بنى راشد مثل أفكان التى أصبحت تعرف بمدينة بنى راشد [٢] وقلعة هوارة التى أصبحت تعرف بقلعة بنى راشد [٣] .

ومع ذلك فلم يقنع بنو راشد بتغيير نمط حياتهم القبلية فلم يتوقفوا عن الرحلة فى القفر [٤] ، ولم يتخلوا عن تربية المواشى وسكنى الخيام [٥] ، واختار سكنى الصحارى والقفار والجبال [٦] فكان ذلك سببًا فى قوة أجسامهم وخشونتها [٧] .

غلب على مجتمعهم البدوى الشكل القبلى فكان يقع فى قمة الهرم الاجتماعى شيخ القبيلة الذى اسندت له الدولة بعض الوظائف الإدارية مثل ولاية الإقليم [٨] وجباية الضرائب ، فاستطاعوا بذلك أن يكونوا لأنفسهم جاهًا وثروة بالإضافة إلى الإقطاعات الكبيرة [٩] .

وأما الطبقة الثانية فهم أرباب السيف من الفرسان ؛ ولقد ساعد على وجود هذه الطبقة قيام صراعات بين دول المغرب من جهة والقبائل من جهة أخرى ، ومحاولة كل طرف أن يتوسع على حساب الطرف الآخر

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

(٣) ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ،ج ٦ ، ص ٢٦ ، ج٧ ، ص ٩١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ ، ١٨١ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٧ ، ١٨٠ – ١٨١ .

(٧) كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

(٨) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج٢ ، ص ١٨٤ ، ١٩٤ ؛ المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨١ .

(٩) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ .

[١] ويدخل فى هذه الطبقة الشعراء الذين يتغنون بأمجاد القبيلة [٢] ثم يأتى يأتى فى الدرجة الثالثة المشتغلون بالزراعة وهم مستقرون [٣] ، والرعاة وهم رُحَّل [٤] ، ويدخل فى هذه الطبقة التجار والصناع [٥] والعاملون فى المهن الأخرى [٦] .

وخلال عصر إمارة بنى راشد كانوا هم العنصر الأوسع انتشارًا والأكثر نفوذًا وتأثيرًا فى مجتمع الإمارة خاصة بعد التغييرات التى أدخلوها على التوازن البشرى لهذا المجتمع ، حيث تغلبوا على مضارب العديد من البطون البربرية التى سكنت الجبال الموجودة شرق تلمسان [٧] [٧] ؛ إذ لم يكن لهذه العناصر أثر يذكر فى مجتمع بنى راشد ؛ ولعل السبب فى ذلك ضعف شوكتهم فاستكانوا لغلبة بنى راشد [٨] الذين سيروهم فى عتاد رعاياهم وألزموهم بدفع الجباية [٩] ، ولذلك لم يقووا على على ممارسة أى نشاط سياسى ولعلهم انصهروا ضمن السكان مما جعل المصادر تغفل عن ذكرهم .

ثم تأثرت الوضعية الاجتماعية لبنى راشد بعد أن تم تهجير قسم منهم باتجاه التل [١٠] من طرف قبائل العمور التى استقرت بمضاربهم [١١] ،

---

[١] يحيى بن خلدون : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦١ ، ١٨٤ – ١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ ؛ المصدر نفسه نفسه ، ج٧ ، ص ٨٨ ، ١٢٧ ، ١٤٠، ١٨١ ، ٢١٨ ؛ ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧٣ .

[٣] ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ٩١ .

[٤] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٢٦ .

[٥] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٦] ليون الإفريقي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٧] البكرى : المغرب ، ص ٧٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٤٩ ، ج٧ ، ص ٦٣ ، ٦٦ ، ، ١٨٠ – ١٨١ .

[٨] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨٠ –١٨١ .

[٩] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٩١ .

[١٠] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[١١] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٣٠ –٣٢ .

وأما من بقى منهم فقد التحق بهم قبيلة سنجاس ، ولكن يبدو أن عددهم لم يكن كبيرًا ؛ لأنهم لم يتركوا أى أثر [١] لأن هؤلاء البربر قد تعربوا بالتاريخ [٢] .

على أن الاستقرار الهلالى فى هذه المنطقة لم يقض تمامًا على من بقى من قبيلة بنى راشد ، حيث استمر تواجد فريق منهم عُرفوا باسم قبيلة مقاطع [٣] ، وقد حافظ قسم منهم على نمط معيشتهم البدوية إذ استمروا فى سكنى الخيام فى البادية [٤] ، واعتمدوا فى حياتهم على الرحلة بين التلول والواحات الصحراوية [٥] ، فقد احتازوا بفضل ذلك الثروات والأموال الطائلة ، بينما آثر القسم الآخر الاستقرار ومزاولة النشاط الفلاحى المتمثل فى زراعة الأراضى وتربية المواشى [٦] .

عانى مجتمع بنى راشد خلال فترة متأخرة من بعض المظاهر السلبية كانتشار اللصوص ، وقد تعرض لهذا الموضوع الرحالة ليون الإفريقى الذى زار إحدى الأسواق فى قلعة بنى راشد فسُرقَ منه جواده من أحد عمال قائد بنى راشد ، وعندما اشتكى له قال له إن الأجور التى تُعطى لهؤلاء البغالة غير كافية فيعمدون إلى السرقة [٧] .

بعض مظاهر العمران

لا يمكن بحال إنكار نشاط قبيلة بنى راشد فى حركة البناء والعمران ، ولكن بما يتلاءم مع طبيعة حياتها القبلية والحربية ، فقد طغى على هذا العمران العمارة العسكرية على المرافق العامة [٨] ، كما لم يكن يخلو هذا

---

[١] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٥٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٧١ – ٧٢ .

[٣] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٤] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٥] كربخال : إفريقيا ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٦] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٧] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٧ .

[٨] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

العمران من طابع البداوة الذى احتفظ بالخيام حتى شاهدها ليون الإفريقى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى [١] .

تمثل أبرز مظاهر عمران بنى راشد فى أنهم أعادوا تخطيط مدن جديدة حملت اسم بنى راشد مثل مدينة أفكان [٢] التى أُطلق عليها مدينة بنى راشد [٣] ، وورثت عنها بطبيعة الحال سمعتها ونشاطها التجارى [٤] ، [٤] ، واستفادت من كل المرافق التى وجدت فيها [٥] ، وسرعان مانمت المدينة الجديدة وعمرت على حساب سابقتها وازداد سكانها فصارت أهم مدن بنى راشد ، واتخذوها عاصمة لهم ، ولكن سورها لم يصمد طويلاً وزال بمرور الزمن ، حيث وجدها الرحالة الأسبانى مارمول كربخال فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى غير مسورة [٦] .

كما أعاد بنو راشد تخطيط قلعة هوارة [٧] التى حملت اسم قلعة بنى راشد ، وقد عمرت هذه المدينة بأسوارها ذات الأبراج [٨] ، وكثر الصناع والتجار بها وعظم شأنها [٩] وأما مدينة بنى راشد الثالثة وتدعى المعسكر فقد حافظت على عمرانها العسكرى المتوارث عن الرستميين [١٠] الذى لم

---

[١] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٢] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٩ ؛ البكرى : المغرب ، ص ص ٧٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص ١٨١ .

[٣] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٤] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٨٨ – ٩٠ ؛ المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

[٥] من مسجد جامع وحمامات ، وفنادق وقصور وحدائق وكذا سورها الذى رآه ابن حوقل فى غاية الارتفاع والعرض ومبنى من طين (تراب) ، ولا ندرى كيف ؟ إلا أن يكون ثائرًا فقط أو يقصد أنه من تراب معمول طوب وهو الأصح لأن البكرى وجده فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى مبنية من طوب . صورة الأرض ، ص ٨٧– ٨٩؛ المغرب ، ص ٧٩ .

[٦] كربخال : أفريقيا ، ج٢، ص ٣٢٤ .

[٧] ليون الإفريقى : وصف إفريقيا ، ج١ ، ص ٢٦ .

[٨] كربخال : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٩] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[١٠] كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

بقى منه إلا القصبة التى اتخذت مقرًا للعامل والقواد ، كما نشطت هذه المدينة بأسواقها الأسبوعية التى أقبل عليها السكان للبيع والشراء [١] .

وهكذا فإن مدن بنى راشد لم تأخذ الطابع الحضارى لأنهم لم يعيروا المشروعات العمرانية اهتمامًا كبيرًا كبناء القصور والدور والحمامات وتشييد المصانع واغتراس المتنزهات ، ولعلهم رضوا بما خلفه أسلافهم من منشآت ولم يلتفتوا حتى إلى إصلاحها وتجديدها بتأثير حالة الحرب التى عاشوها طيلة تاريخهم ، ولكن يكفى أنهم أعطوا لهذه المدن طابعها البدوى والحربى الذى احتفظت به لقرون .

الحياة العلمية

لعل أول ما يتبادر إلى ذهن الدارس للحركة العلمية لبنى راشد انعدام الحياة الفكرية لديهم ؛ إذ لم يسهم بنو راشد بدور يذكر فى الاهتمام بالعلم ورجاله نتيجة لظروفهم السياسية التى لم تعرف الاستقرار طيلة مراحل حياتهم وهو ما جعل الأغلبية من علماء بنى راشد يرتحلون إلى الخارج للانتفاع من غيرهم ، حيث تتلمذوا على علماء تلمسان وعند عودتهم إلى قبيلتهم أسهموا بدورٍ بارزٍ فى نشر الإنتاج العلمى لعلماء تلمسان ، ومن أمثلة علماء بنى راشد الحسن بن خلوف المادلى الراشدى الذى أقبل على الفكر الصوفى إقبالاً كبيرًا [٢] ، حيث نجد فى ترجمته صفحات حافلة بالحديث عن كراماته ومناقبه وزهده فى الحياة [٣] .

لكن لم يشمل الفراغ الثقافى الذى عاشه بنو راشد كل الفترات التاريخية ، بل شهدوا فى مرحلة متأخرة تقدمًا فى الميدان الثقافى ، كانت

---

[١] ليون الإفريقى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ كربخال : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

[٢] التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج ٢ ، ص ١١٧ ، تحقيق علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤ م .

[٣] التنبكتى : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨ .

فيه قلعة بنى راشد واحدة من بين أهم المراكز العلمية فى المغرب الأوسط ، وأسهم فيها علماؤها بدورٍ مشرف فى ازدهار الحياة الفكرية [١] .

الخاتمة

أسهم بنو راشد أسهم بنو راشد بنصيب فى بعث وإحياء مجد قبيلة زناتة وقوتها حينما أسسوا فى جنوب المغرب الأوسط إمارة زناتية صغيرة حملت اسمهم ، ولكن لم يُقدر لهذه الإمارة الاستمرار إلا لفترة وجيزة . لأنها حملت فى طياتها عوامل انهيارها ، حيث لم يكن لهم القوة التى توافرت لمعاصريهم إذ كانوا فرسانًا ظواعن ولم يتمكنوا من إقامة جيش منظم يرسخ أقدامهم ، كما استنزفت قوتهم العسكرية فى الحروب الكثيرة التى خاضوها لمناصرة أحلافهم الزيانيين ثم المرينيين ، وهو الأمر الذى أدى إلى أن أداتهم العسكرية أصبحت غير محسوسة ، كما لم يعد لها كذلك وزن فى كثير من الأحيان ، كذلك أدى التنافس والصراع بين أمراء بنى راشد على الحكم إلى انقسام الإمارة وتصدع أركانها ، وفضلاً عن ذلك فقد أتى صدام بنى راشد ببنى عبد الواد وبالعرب الهلاليين فى وقت كانت فيه هذه القوى فى أوج عظمتها مما فتّ فى عضدهم وقضى على قوتهم ، وأخيرًا كان خضوع بنو راشد لبنى مرين وأنصارهم ينم عن ضعفهم وميلهم للاستسلام للغالب من السلاطين ، وقد قلل ذلك من شأنهم وأضعف قوتهم وأخل بما عرفه قومهم قبل ذلك من عزة وكرامة .

وبطبيعة الحال أثرت كل هذه العوامل على الملامح الحضارية لقبيلة بنى راشد التى ظلت محتفظة بطابعها البربرى طيلة تاريخها .

---

[١] السلاوى : الاستقصا ، ج٤ ، ص ١٢١– ١٢٣ . لا يتسع المجال هنا لحصر هؤلاء العلماء الذين أنجبتهم قبيلة بنى راشد لأنهم كانوا فى فترة متأخرة عن موضوع الدراسة .